

أنا وأنت على الطريق

مصلحة السجون في سويسرا وقيمة المرأة في مجتمعنا

نعيش يا سيدتي في عالم يدّعي التقدم والتطور والازدهار. لكن على الرغم من هذا كله، فإننا نرى هذا العالم نفسه يعود إلى الوراء في حفاظه على حقوق الناس والبشر بشكل عام. نحن لا نتكلم عن البلاد التي تدمرها الحروب وتقضي على شعبيها الصراعات المختلفة، كلا. بل أتكلم سيدتي عن حقوق المرأة في بلادنا العربية التي يدّعي البعض منها بالتقدم ومواكبة العصر. نعم هناك تقدّم ومواكبة للعصر في مناحي البناء والعمار في بلاد عديدة، لكن هل هناك احترام لحقوق الإنسان ولحرية الإنسان خاصة المرأة؟ هذا هو بيت القصيد. فالتطور لا يقتصر على المظهر يا سيدتي بل ينبغي أن يتناول الجوهر اليس كذلك؟

تعالى معي نستمع إلى هذا الخبر الذي جاء من سويسرا يقول: اعتمدت مصلحة السجون في سويسرا نظاما جديدا يتعلق بلون الجدران وأصدرت قرارا بدهنها باللون الوردى، استنادا إلى آراء استشاريين في علم النفس نصحوا بهذا اللون لما يحمله من تأثير إيجابي على حالة الإنسان النفسية. لكن لم يقتصر ذلك على السجون فحسب، بل قررت الشرطة السويسرية أيضا دهن زنازانات الحجز المؤقت باللون الوردى. فلاحظت أن الموقوفين المعروفين بعدوانيتهم أصبحوا أكثر هدوءا حتى إن بعضهم كان يغط في نوم عميق. ويصف علماء النفس اللون الوردى بأنه اللون الذي يرمز إلى السعادة الروحية أو بمعنى النفسية. ويصنف اللون الوردى ضمن فئة الألوان التي توحى بالرقّة والضعف والأحاسيس المرهفة . ولذلك يوصف بأنه لون البنات. أما في الثقافة الروسية فكان اللون الوردى يرمز دائما إلى التفاؤل والأمل. والجدير بالذكر ان قوانين العديد من سجون العالم تبدو مثيرة للاهتمام الذي لا يلبث ان يتحوّل إلى الإعجاب . فعلى سبيل المثال ثمة قانون تعمل به السجون الفيدرالية البرازيلية، يسمح بتقليص مدة الحكم لأربعة أيام مقابل قراءة كتاب واحد. وإن كان ذلك بشرط ألا يتجاوز مجموع هذه الأيام شهرا ونصف في العام. وسعيا من السجناء للتأكيد على أنهم قرأوا الكتب، يبدي هؤلاء استعدادهم للخضوع إلى اختبار إنشاء يجيبون فيه على اسئلة ويكتبون ملخصا للكتب التي قرأوها. إلى هنا ينتهي الخبر.

نعم يا سيدتي ، ويقومون بدراسات وبحوث لكي يجدوا حلولا تجعل في حياة المحكومين المساجين، نافذة أمل فلا يستسلموا لليأس أو الفشل بسبب ما اقترفوه في حياتهم من أعمال ضد القانون والمجتمع. وهكذا يطورون أساليب وطرق عن طريقها يربحون فيها حتى المساجين في السجون فلا يحكمون عليهم إلى الأبد بأنهم لم يعودوا نافعين او غير قابلين للتغيير أو إعادة التأهيل. لماذا كل هذا يا

سيدتي؟ اليس لأن للفرد قيمة واحتراما لا نراها متوفرين في بلادنا نحن إلا النذر اليسير؟ حتى للفرد المسجون قيمة أما نحن فلا نجد للمرأة قيمة في المجتمع تذكر لأنها تعيش في وسط مجتمع ذكوري يتطور ويتقدم في أشياء كثيرة من حيث المظهر أما من حيث الجوهر فإنَّ العقول تبقى كما هي لا تتطوّر في الطريقة التي تعامل بها المرأة ولا تتحسن. بل أخشى أنّ ما يجري الآن في الحروب إنما يعود بها القهقري إلى الوراء لقرون وقرون.

هل تعلمين سيدتي، أن الفادي والمخلص يسوع المسيح قد اهتم بالكبير والصغير ، بالرجل والمرأة سواء؟ لم يخلق مجتمعا ذكوريا قط، بل نادى بملكوت يتساوى فيه الجميع إذ لا فرق بين رجل وامرأة بين عبد أو حر، حتى المقعد أو الضرير، العشار وغيره الكل واحد في نظره لهم قيمة واحدة هي قيمة نفوسهم الخالدة. أتعلمين يا سيدتي ماذا فعل الرب يسوع لكي يبين محبته لكل بني البشر سواء؟ قام ببذل نفسه هو من أجلي أنا ومن اجلك أنت. بمعنى أنه لكي يريح نفوسنا ويضمن أن يكون لنا نصيبا في هذا الملكوت الروحي الذي أسسه بنفسه، بذل نفسه عنا نحن البشر الخاطئة. مات لكي يريح الإنسان كل إنسان المرأة والرجل الولد والشيخ سواء، لكي يريحهم في ملكوته. حتى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.

هذا وعلى الرغم من ان الإنسان مقصر ومحكوم عليه بالموت الأبدى أي الانفصال عن الله تعالى، إلا أنه لم يتخلّ عنا البتة، لأن نفوسنا ثمينة عنده وقيمتنا غالية في نظره. فمحننا فرصة ثانية ليس لكي يعيد تأهيلنا فحسب بل لكي يخلقنا من جديد. وهكذا وضع فينا طبيعة جديدة تحب الخير وتكره الشر. فهل ادركت سيدتي قيمتك الغالية في نظره تعالى؟ وحين تأتئين إليه واثقة أنه يحبك ويهتم بك شخصيا تختبرين الحرية الحقّة وتصبحين تلميذة للرب يسوع المسيح المخلص الفريد. يخبرنا الإنجيل بحسب متى فيقول عن يسوع المسيح: "وعلى اثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله، ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كن قد شفين من أمراض، مريم التي تدعى المجدلية، ويونا امرأة خوزي وكيل هيرودس وسوسنة، وأخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن. " نعم يا سيدتي مثلا يشفي يسوع الجسد هكذا يشفي الروح من الداخل من سلطان الخطية. وعندها تصبح المرأة أيضا تلميذة وتابعة للمسيح مثلما كان التلاميذ الذكور لا فرق. فهل تعرفت على من يحترم المرأة وحقوقها ويمنحها قيمة حقيقية مثل الفادي المسيح؟ وهل تقدّرين ما عمله من أجلك؟
